



بسم الله والحمد لله والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أما بعد:

فقد أرسل إلى أحد الإخوة الكرام مشكورا اعتراضا على تدوين شهادتي الشخصية على فساد نظام، أجمع القاصي و الداني على فساده، وأن الشهادة تطلب وقت الترجيح، و لا حاجة للترجيح هنا بسبب إطباقي الم موضوعيين من أبناء القرارات الخمس على فساد النظام وظلمه ودمويته وإرهابه ومحاربته للإسلام!

الجواب: قلت في الحلقة السابقة إنها شهادة أمام الله تعالى قبل أن تكون شهادة أمام الجماهير التي نعاصرها، وإنها لشهادة للأجيال و التاريخ قبل أن تكون إقامة لحجة على من انحرف من ضل الطريق من عالم أو تاجر أو شبيح من من انتسب لأهل السنة والجماعة، فصار عن طريق أهل الحق في تيه وبعد حتى صدق في هؤلاء القول: إنهم قوم عمي! إني أعتقد أننا أحوج ما نكون في هذا الوقت لأمثال هذه الشهادات بعد أن وجدنا من أهل العلم الغارقين في وحل الدنيا من ما يزال إلى هذه اللحظة الحرجة من تاريخ أمتنا يدافع عن نظام الجريمة والإلحاد والطائفية في الشام، يفعل ذلك بكل ما أوتي من وقاحة و انحطاط و قذارة نفس، و انحياز للجاني على حساب الضحية، حتى وإن كان الإسلام نفسه هو الضحية، بعد أن وقف الحاقدون من ملحدين وبعثيين ونصيريين وصفويين على رأس المقصولة لخنق صوته، وجزّ رقبته، ونحر أهله، و تغيب وجوده من ساحة حاضر الأمة و مستقبلها!!!.

هذا كله يدفعني للمضي بقوة في سرد المشاهد التالية من شهادتي التاريخية بكل دقة وأمانة دون أن يغيب عن تدويني التعليق المفيد.

### المشهد الثاني:

في الصف الأول الإعدادي من مدرسة أبي حيان التوحيدى في الميدان، تم التحقيق معي على خلفية اكتشاف روایتی "عمالقة الشمال" و "عذراء جاكرتا" الإسلامية في حوزتي، للكاتب الشهير نجيب الكيلاني، بعد أن قمت بإعارة تلك الروايات المفيدة لبعض الطلاب في المدرسة ضمن نشاطات دعوية كنت أمارسها مبكرا، للتعریف في الإسلام انطلاقا من المدرسة التي

كنت أرتادها، والبيئة الإسلامية التي كانت تحضنني، وهي الروايات التي كنت قد حصلت عليها من مكتبة جامع العالمة الشيخ حسين خطاب \_ جامع القاعة سابقا في حي الميدان\_ الذي كنت قد التحقت فيه للتلقي المبادئ الأولية للعلوم الشرعية!!!

فأي تقييد للحريات ذاك؟ وأي هيمنة أمنية تلك التي واكبته مسيرة حزب بعثي أسسه نصرياني، وقاده نصيري من أصل يهودي، وفجر حقد إرهابه زمرة من تلامذة الصهيونية الماسونيين الذين تسللوا على رقاب الخلق في سوريا الشام فسلبواهم كل ما لديهم من حقوق وحرية وكرامة!!!

إنهم بالرغم من جلوسهم على كرسي السلطة إلا أن فرائصهم ترتعد من أي نشاط ثقافي نظيف يعيد الأمة إلى حياض خالقها، تلك الحياض التي ما جاؤوا إلا لتدميرها، وزرعها من ذاكرة الأجيال!

لكن هيهات، ثم هيهات، قوله تعالى: "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" سورة التوبية الآية: 32

وقوله تعالى من الآية أخرى: "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متّم نوره ولو كره الكافرون" سورة الصاف: الآية: 8 ف الآية الأولى الجملة فيها فعلية وهي تفيد عند أهل اللغة الاستمرار التجدي، بينما الآية الأخرى الجملة فيها إسمية وهي تفيد عندهم الاستمرار الثبوتي، وفي كلا الحالتين فإنّ نظام البعث النصيري ومن كان على شاكلته من طغاة متجررين في شتى بلاد العربوبة والإسلام جميعاً هم أحقر من أن يطفئوا نور الله تعالى في قلوب شعوب مؤمنة، أو يخمدوا جذوة الإيمان في أقئدة تجذر فيها نور الحق المبين، فكيف إذا كنا نتحدث عن إسلام أهل الشام من شهد لهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالخيرية، فما أمر هؤلاء مع دين قال الله عز وجلّ فيه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" إلا كما قال المثل العربي: "فَمَا ضَرَّ السَّحَابَ نَبَاحُ الْكَلَابِ".

والمثل الآخر: "ما ضرّ نهر الفرات يوماً أن خاض بعض الكلاب فيه"، ووالله مهما طال الزمن فسيغادرون ومن معهم من أبواق علماء السلطان وكأنهم لم يمرّوا من هنا يوماً، وسيبقى الإسلام شامخاً، وسيبقى علماء الإسلام شامخين بشموخ الإسلام.

### المشهد الثالث:

في المرحلة الدراسية ذاتها دخل إلى صفنا موجّه طلاب الأول الإعدادي، ثم قال بصوت عال: من فلان؟ - وذكر أسمى - فلما أجبته بـ"نعم" قال لي: مبارك لقد تم ضمك إلى صفوف اتحاد شبيبة الثورة، لأنك متتفوق على أقرانك! - إذ كنت بتوفيق الله تعالى الأول على طلاب مدرستي بلا منازع - فصعقت من النبأ، لأنني كنت أنظر إليهم نظرة ارتياح لاسيما إثر تجربتي المأساوية معهم في طلائع البعث قبل سنتين، وبسبب ثقافتي المبكرة التي تلقيتها من ارتياح بيوت الله عز وجل، مما كان متنّي إلا أن رفضت العرض المغرّي بالانضمام إلى صفوفهم، بيد أنني التزمت سبيل الحكمة خشية على نفسي من انتقامهم، فتعلّلت بأنّ لدى مشاغل في جامع القاعة الذي كنت أحفظ فيه كتاب الله تعالى وأتلقي في حلقاته دروساً خاصة في الفقه والعربية، ولو لا أن الموجّه آنذاك كان ينتمي لأحد مساجد دمشق - أحد مساجد زيد - لكان لرفضي عواقب أخرى، لكنه وإن كان موظفاً ينفذ الأوامر، وما تترتب عليه سياسة الدولة من التزامات، إلا أنه استثمر موقعه بما يرضي الله تعالى في سبيل إنقاذني من الوضع المحرّج الذي وقعت فيه، فحمل الموضوع على الوجه الحسن حتى طوى ملفه بصورة هادئة فحفظني الله عز وجلّ تارة أخرى، فجزاه الله تعالى عنّي كلّ خير أينما كان.

### المشهد الرابع:

وفي الثاني الإعدادي فرض نظام البعث على طلاب الإعدادي دروسا إضافية فيما كان يعرف بالفتوة -بضم الفاء والباء وتشديد الواو- حيث ضرب لتلك الدروس وقتاً حِدَّه قبيل صلاة الجمعة سعياً منهم إلى إشغالنا عن صلاة الجمعة، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، -أي: كانت تؤدي تلك اللقاءات في المدرسة وخارج الدوام الرسمي من يوم العطلة الأسبوعي الجمعة، وأظنه كان سنّياً- معرّفاً منظمة اتحاد شبيبة الثورة بأنها: (منظمة هادفة مرادفة لحزب البعث العربي الاشتراكي)!، وأنّ كلا المنظمتين تؤمنان على أرضية الفكر الاشتراكي!، وأنّ الإسلام لا يعارض الاشتراكية على نحو ما يروج بعضهم!، وأنّ أول اشتراكي في التاريخ الإسلامي هو الصحابي أبو ذر الغفاري! وأظنه أشار إلى كتاب علماني خبيث اشتهر باسم: "اشتراكية أبي ذر" !!!

عند هذا الكلام الاستفزازي قمت بشجاعة الشاب المسلم الغيور فسألته:

هل الاشتراكية أقدم أو الإسلام؟ فأجاب: إنه الإسلام.

فتابعت استدراجه قائلاً: أنت تقول: الإسلام يؤيد الاشتراكية، و الإسلام متقدم على الاشتراكية، إذن: فلندع الاشتراكية، ولنأخذ بالأصل الذي نعتمد عليه، ونستند في التوثيق به وهو الإسلام.

هنا ثارت ثائرة هذا الوصولي، فانتفض أمام الطلاب غاضباً، وقال لي بصوت ذي نبرة عالية: أتريد أن تعلمـنا ما نقول؟

ثم أزلـني إلى مدرب الفتـوة في غرفـته الخاصة في مدخل المدرسة للتحقيق معـي، وقد كان يرتدي زـيا عـسكرياً و كان سنـياً أيضاً!

فما كان من هذا الأخير إلا أن أوجعني ضربـاً على راحـة يـدي، و على جـنبي، و في كل اتجـاه لا يؤذـينـي من جـسـدي لكنـه كان ضربـاً مـبرـحاً، و كنت أصرـخ من الأـلم حتى وصل صـراـخي إلى سـمع الطـلـاب في الأـدوار العـلوـية، و كنت مشـدوـها من الأـلم الذي حـطـ رـحلـه في مـعـظـم جـسـدي!

ومن الغضـب الذي كـسرـ عن وجهـ مـكـفـهـ لا أـعـرـفـهـ في وجـوهـ من هـمـ في مقـامـ الآـباءـ من الأـسـاتـذـةـ، وـأـنـاـ لاـ أـدـريـ لـمـاـ يـنـزـلـ بـيـ كلـ هـذـاـ التـعـذـيبـ، لـكـنـيـ بالـرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ -وـ بـتـثـبـيـتـ مـنـ اللـهـ لـيـ- لمـ أـصـبـ بـالـخـورـ، فـقـدـ عـدـتـ إـلـىـ الصـفـ منـ جـدـيدـ وـ فـيـ عـيـونـيـ المـزـيدـ مـنـ التـحـديـ الذـيـ مـاـ زـالـ يـلـازـمـيـ حـتـىـ الـيـوـمـ، وـ كـانـ بـرـيقـ عـيـونـيـ يـقـولـ لـهـمـ: أـرـتـمـونـيـ طـلـيـعـاـ شـبـيـبـاـ بـعـثـيـاـ فـمـاـ كـنـتـ إـلـاـ مـوـحـداـ إـسـلامـيـاـ مـحـمـدـيـاـ، وـأـنـاـ الذـيـ تـرـبـيـتـ فـيـ مـدارـسـ نـظـامـكـمـ!ـ وـتـرـعـرـعـتـ عـلـىـ فـاسـدـ مـنـاهـجـكـمـ!

لـكـنـ يـنـبـوـعـ إـسـلامـ الصـافـيـ، وـمـعـينـ مـائـهـ العـذـبـ الزـلـالـ كـانـ كـافـيـاـ لـغـسلـ عـفـنـ أـفـكـارـكـمـ وـ تـطـهـيرـهـاـ مـنـ فـاسـدـ رـجـسـكـمـ عـلـىـ الدـوـامـ، تـمـاماـ عـلـىـ غـرـارـ مـاـ حـصـلـ مـعـ أـسـيـادـكـمـ فـيـ فـلـسـطـنـ حـيـنـ خـرـجـ رـجـالـ إـسـلامـ مـنـ سـلـطـانـ دـوـلـةـ الطـغـيـانـ الـكـبـرـىـ دـوـلـةـ إـلـرـهـابـ إـسـرـائـيلـ الـتـيـ أـوـجـدـتـكـمـ وـ بـهـاـ كـنـتـ، فـتـارـوـاـ عـلـيـهـاـ وـسـيـقـوـضـونـهـاـ تـقـويـضاـ كـمـاـ سـنـقـوـضـ دـوـلـةـ طـغـيـانـكـمـ تـقـويـضاـ، وـسـيـعـمـ إـسـلامـ وـ السـلـامـ كـافـيـاـ رـبـوـعـ الشـامـ وـ دـيـارـ إـسـلامـ بـعـدـ أـنـ نـجـتـ أـسـتـاذـ وـ الـلـمـيـدـ مـنـ خـرـيجـيـ مـدارـسـ الـقـومـ الـلـئـامـ!ـ.

وـتـدـورـ الأـيـامـ، وـتـتـوـالـىـ الشـهـورـ وـالـسـنـونـ، ثـمـ عـلـىـ غـيرـ موـعـدـ أـوـ تـرـتـيـبـ مـسـبـقـ يـشـاءـ الـبـارـيـ عـزـ وـ جـلـ أـنـ الـتـقـيـ مـعـ مـدـرـبـ الـفـتوـةـ -ـالـذـيـ أـوـجـعـنـيـ ضـرـبـاـ يـوـمـاـ- وـجـهـاـ لـوـجـهـ فـيـ مـكـانـ قـرـيبـ مـنـ مـدـرـسـةـ التـوـحـيدـ فـيـ الـزـاهـرـةـ مـنـ حـيـ الـمـيدـانـ مـوـضـعـ الـحـدـثـ السـابـقـ، ليـشـهـدـ الـمـكـانـ حـدـثـاـ لـاـ يـقـلـ غـرـابةـ عـنـ الـأـوـلـ، حـيـثـ جـرـىـ مـعـ هـنـاكـ مـاـ لـمـ يـكـنـ فـيـ حـسـبـانـ أـحـدـ أـبـداـ، وـإـلـيـكـمـ رـصـدـ الـمـشـهـدـ الـرـابـعـ مـنـ الـمـوـقـفـ الـذـيـ أـصـابـنـيـ بـالـدـهـشـةـ مـرـتـيـنـ:

مرة عندما ضربـيـ أـسـتـاذـيـ -ـوـعـهـيـ بـالـأـسـتـاذـ أـنـ يـكـنـ رـحـيـماـ- وـظـلـ يـضـرـبـيـ بـلـاـ هـوـادـةـ حتـىـ أـوـصـلـ صـراـخـيـ إـلـىـ الصـفـوفـ الـعـلـيـاـ وـمـنـ فـيـهـاـ مـنـ طـلـابـ وـمـشـرـفـيـنـ!

وـمـرـةـ أـخـرىـ عـنـدـمـاـ أـخـذـ ذاتـ الـأـسـتـاذـ يـعـتـذـرـ لـيـ فـيـ الطـرـيقـ مـتـواـضـعـاـ عـمـاـ نـزـلـ بـيـ عـلـىـ يـدـيـهـ سـابـقـاـ مـنـ ضـرـبـ مـبـرـحـ، مـعـلـاـ

ذلك بأنه إنما كان فيما أوقعه عليّ من ألم رحيمًا معي!

وكاد الرجل يقبل يدي طالباً الصفح، و هو يقول: أنا أحبك يا محمد، وخاصة عندما علمت أنك حافظ لكتاب الله تعالى، لكن -والله- لو لم أفعل ما فعلت ل كانت (الكلبشتات) –أي: القيود و السلاسل– قد وضعت منذ ذلك الوقت في يدي قبل يدك، لكنني جعلت الأمر ينتهي عندي رحمة بك وبي، وإنني ما زلت منذ ذلك الوقت أتحين الفرصة لألقاءك وأعتذر منك، وأشرح لك ما خفي عليك يومئذ، وأطلب الصفح والعفو منك!

أمام هذا المشهد لم أدر ماذا أقول فقد دهشت من حبه لي، وتواضعه بين يدي، واعتذاره مني، بينما لم أنس بعد شدة العصا التي كان يضربني بها بكل قسوة، فما كان مني إلا أن أجبته وقد تلعمت الكلمات على لسانني: أنت أستاذى، وإنى لم أبغضك، وقد أجبت الآن على تساؤلاتي، فسامحك الله، ثم دعوته ليكون ضيفا علينا في منزلنا القريب لكنه اعتذر، ومن ثم افترقنا والدهشة لم تبرح كياني، ولم ألتقط به بعد حتى كتابة هذه الكلمات!

إنه النظام في قسوته وجبروته وإرهابه وتسميمه لأفكار الناشئة، هو من يدفع الأستاذ والتلميذ لموقف غامض غير مفهوم! لا لعنة الله على طغاة سوريا الظالمين، وعلى أسيادهم في تل أبيب، الذين يغطون جرائمهم في مقابل أن يظل نظام البعث كلب حراسة ينبع على كل مجاهد وطني حر يحاول العبور نحو القدس والأقصى وفلسطين لتحريرها و تنظيف جسدها المبارك من رجس عصابة الإرهاب إسرائيل التي جثمت على صدر شعب فلسطين الأبي في الوقت الذي سلطت فيه نظام الأسد ليجثم على صدر شعب سوريا الأبي، لكن قضاء الله المبرم أن يسقط السيد الصهيوني في فلسطين الشام والتلميذ الصفووي في سوريا الشام في يوم كان قد قدره الله و قضاه.

لا لعنة الله على طغاة الشام، ومن كان على شاكلتهم، ومن يرضي بجرائمهم، ومن يزدود عنهم ولو بكلمة، فإنه أسوأ منهم، خاصة عندما يكون داعية أو شيخ فتوى.

لا لعنة الله على علماء السلطان، سائلاً المولى عز و جلـ –إن لم يرجعوا عن غيّهم، ويتوبوا إلى ربهمـ أن يحرشهم مع سيدهم طاغية الشام بشار، ووالده الهالك المقتول، وسائر النصيريين والصفويين الذين اغتصبوا حرائر المسلمين، وانتهكوا حرمات المساجد والمصاحف والموحدين.

آمين.آمين.آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه نزيل المدينة المنورة محمد حمادة – الغنيمي الدمشقي الميداني –

وإلى لقاء قادم بإذن الله في الحلقة السابعة من هذه السلسلة .

المصادر: